دافيد غروسمان؛ من الأسطرة الى الواقع

رياض بيدس

استذكر المفكّر يشعياهو ليفوفيتش ما قاله بعد حرب الايام الستة بالضبط في اليوم السابع، فقال: «يذكّرني الكثيرون بأني قلت، وقتذاك، ان التجسس و ' الشين بيت ' والشرطة السرية ستتحوّل الى مؤسسات مركزية في دولة اسرائيل. اذا اردت ان تحقق الجهاز السلطوي اليهودي على شعب آخر يجب عليك ان تحوّل ' الشين بيت ' الى مركز الواقع السياسي»[١].

في مطلع سنوات الثمانين (١٩٨٣)، أصدر الكاتب الشاب دافيد غروسمان روايته «ابتسامة الجدي»[٢]، التي تعتبر تحقيقاً أدبياً مثيراً لما قاله ليفوفيتش في اليوم التالي لحرب الايام الستة.

استطاع غروسمان، في روايته «ابتسامة الجدي»، ان يكسر النمط الادبي المألوف، وان يخترق عالم المناطق المحتلة، لتدور احداث روايته فيها. فالرواية، بمعنى من المعاني، رواية سياسية: الخلفية سياسية (المناطق المحتلة) والواقع (الاحتلال وسياسته اليومية) يصبغ الشخصيات بتأثيراته السلبية المختلفة.

حبكة راوية «ابتسامة الجدي» حبكة فوكزية. فالرواية تدفع بنفسها الى وراء أكثر والى أمام اقل بواسطة مونولوجات داخلية لثلاث شخصيات (اوري وشوش وحلمي) مع قصة شخصية رئيسة رابعة هي شخصية كاتسمان (تقص من وجهة نظر قاص يعرف كل شيء). تلتقي هذه الشخصيات في ظرف واحد، هو الاحتلال الذي تعيش في خضمّه وتعاني منه، بفوارق معيّنة بين شخص وآخر.

سير الاحداث

بداية الاحداث في الرواية هو المونولوج الحكائي الذي يسرد لنا اوري فيه اجزاء متشظية عن حياته وآماله وأفكاره. فاوري، الهارب من السجن، يلجأ عند حلمي العربي الذي يقيم في مغارة، لكي يتعلم ما ينقصه من حلمي، وليخبره ان ابنه يزدي قتل.

ويذيع اوري رسالة كاذبة، لمقاومة الاحتلال، فيأتي كاتسمان لتخليصه، فيقتل.

خيط هذا الحدث المركزي (الذي يجري في يوم واحد سنة ١٩٧٢) هو لبّ الرواية. وتقدّم تفاصيل هذا الحدث على امتداد صفحات الرواية؛ لذا، رأينا ان من المجدي ان نتناول شخصيات (فواعل) الرواية الرئيسين، لنبيّن العلاقة بين كل شخصية والاخرى والاحتلال الذي يعمل على تضييع العلاقات بينهم.

اوري ـ البراءة في مواجهة الاحتلال

تعتبر شخصية اوري واحدة من اهم الشخصيات الفاعلة على كشف الزيف الذي تتحدر